إن هناك مساجد ضخمة كبرى تهوى إليها الآلاف يوم الجمعة وما أن تسمع خطبة الجمعة من شيخ كهل لا يقوى على النطق فضلا عن الخطابة وهي لا تزيد على كلام مكرر ركيك ذي أسلوب معقد عقيم! ما أن تسمع مثل هذه الخطبة حتى ترتد عن المسجد ضيقة الصدر كئيبة النفس ـ وبجانب هذه المساجد الضخمة مساجد صغيرة أشبه بالزوايا، موزعة في الأزقة والحارات والدروب، لا تشعر بالدنيا، ولا تشعر الدنيا بها! قد عين لها خطباء من الشباب الكفء القدير، القوي في تفكيره وأسلوبه ومنطقه، فإذا كان الضروري للعهد البائد المنقرض أن يبقي هذا الوضع الشائن ليضمن غفلة الشعب وغفوة الرأي الحر، فأي مبرر لأن يظل كما هو اليوم، ونحن في ظلال حياة جديدة هي في مسيس الحاجة إلى الشعب القوي ليكون دعامة لها وسياجا لبنائها

وهناك مسألة لها أهميتها، فالمعروف أن الدروس التي في المساجد دينية محضة تشتمل في معظم الأحيان على ألوان من التفسير والفقه والتوحيد والحديث ومزيج من القصص المصطنعة الركيكة، فلماذا لا يكون بجانب هذه الدروس ولاسيما في المساجد الكبرى بالعواصم دروس أخرى في السياسة والأدب والفلسفة والتاريخ والاجتماع وغير ذلك، وتشرف الوزارة على اختيار المدرسين ـ بشرط أن يتطوعوا للمساجد المشهورة، وتترك للأئمة في المساجد الأخرى حرية الاستعانة بمن يشاءون، وبذلك نضمن روادا للمساجد من الطليعة الناضجة شبابا وكهولا، ونخطو بالمسجد خطوة موفقة نحو المكانة التي تليق ببيوت الله . . ؟

هذه همسات خفيفة نرجو أن تصغى لها أذن وزير الأوقاف الموثوق بكفاءته وإخلاصه لرسالته ـ والله الموفق

محمد عبد الله السمان

العلم والمـــال

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

ليس للعلم في ذاته قيمة، وليس للمال كذلك في ذاته قيمة، وإنما تتغير قيمة كل منهما بالنسبة للآخر، حتى إذا تبدلت ظروف أحدهما فارتفع أو انخفض، ارتفع الآخر أو انخفض تبعا لذلك

وقد كان للعلم في العهد السابق على الانقلاب الأخير قيمة معينة بالنسبة للظروف الاجتماعية السائدة حينذاك، والتي كانت تخضع إلى حد كبير إلى عامل أساسي عظيم الأثر هو المال. فقد كانت الثروة هي المقياس لجميع الأشياء، حتى إذا تبين للناس أنها المحرك الأول في الحياة، وأنها هي التي تجلب حاجات المعيشة، ووسائل الرفاهية، وأسباب اللهو والزينة، مما كان فتنة الناس وقبلتهم، أقبلوا على المال يقتنونه بشتى الوسائل، شريفة كانت أم غير شريفة، لا يحفلون في سبيل ذلك بشيء، حتى لقد أخضعوا العلم نفسه للمال، فأصبح يباع ويشترى، وتطرق إلى بيعه وشرائه أسباب الفساد والرشوة والمحسوبية، كما تطرق الفساد والرشوة والمحسوبية في كل شيء آخر في الحياة

فإن قلت: وهل يخضع العلم للمال؟ وكيف كان ذلك؟ قلنا: ألم يبلغك نبأ المعلمين الذين يحملون العلم ويتجه إليهم الطلاب يلتمسون عندهم هذه البضاعة، كيف انغمسوا إلى الأذقان في «الدروس الخاصة» يزعمون أنها أجر على التعليم، وحددوا للساعة أجراً أخذ يرتفع إلى أن بلغ قيمة لا يطيقها أوساط الناس وأصبحت ترهق ميزانياتهم. ولم تكن بدعة الدروس الخاصة معروفة من قبل، اللهم إلا في نطاق شديد الضيق، لأن المعلمين كانوا يقومون بمهنتهم خير قيام، ويؤدونها أحسن أداء، ويكفيهم في ذلك أن الدولة قد تعهدت بمعاشهم، وأعطتهم الرواتب للقيام بهذا العمل وتنفيذه. وقد شاعت هذه البدعة حتى بلغت أسوار الجامعة واقتحمتها وأصبحت شيئا مألوفا في معظم كلياتها. وهذا أعظم باب من أبواب الفساد

ولم يقنع المعلمون بالأجر يأخذونه على الدروس الخاصة، فتهافتوا في جميع أنواع التعاليم على تأليف كتب يتجرون في بيعها، ويفرضونها فرضا على الطلاب، سواء أكان ذلك في مدارس الروضة أم في المدارس الابتدائية والثانوية، أم في كليات

الجامعة . وهذا باب آخر من أبواب الفساد

وهيأ الجشع لبعض المعلمين أن يتجروا فى الامتحانات ، فيهبونها لمن لا يستحق فى نظير مبلغ معلوم ، وفاحت رائحة تزكم الأنوف ، وضبطت حوادث كثيرة من هذا القبيل . وهذا باب ثالث من أبواب الفساد

جملة القول : هبطت قيمة العلم بالإضافة إلى المال ، وتلوثت أيضا أقدار العلماء والمعلمين ، وهم حملة راية العلم ، وأصبحنا نجد رجالا لا يمتون إلى العلم الصحيح بصلة يتصدرون المجالس ويتبوءون أرفع المناصب ، ويتحكمون فى المصائر ، ويحكمون على غيرهم، وهم أبعد ما يكون عن المعرفة وعن صفات العلماء

والآن وقد قام الانقلاب على هدم أقدار الناس الذين يعتمدون على المال فقط ، ومن أجل ذلك أصر الموجهون للثورة على تحديد الملكية ، فلا غرابة أن تتغير قيمة العلم ومنزلة العلماء مع تغير قيمة المال

وما دامت الثروة قد أوشكت أن تفقد ما كان لها من سلطان ونفوذ وسحر وأثر فى النفوس ، فسوف يقضى على ألوان الفساد الذى تطرق إلى أبواب العلم

والموقف الذى تقفه مصر اليوم هو أشبه شئ بما كان يجرى فى اليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد ، حين تفشت الديمقراطية وهى حكم الشعب ، ثم فسدت هذه الديمقراطية ، وانتشرت طائفة من الفلاسفة والمعلمين يعرفون باسم السفسطائيين ، يعلمون الناس الخطابة والبيان لحاجتهم إلى هذه الأسلحة فى المجالس النيابية . ولكنهم كانوا يتناولون أجورا باهظة على التعليم ، ولم يكن غرضهم العلم لذاته ؛ بل تعليم الخصم كيف يتغلب على خصمه بالحجة باطلة كانت أم صحيحة

فما أشبه العهد السابق بعصر السفسطائيين !

فلما جاء سقراط كان أول همه أن يكافح تلك الجماعة ، فكان يقوم بالتعليم دون أجر ، مع أنه كان فقيرا ، يمشى فى الأسواق حافى القدمين . وعلى الرغم من صلته بكثير من الأغنياء كان يرفض أن يمد يده إليهم

ثم كان ينشد فى تعليمه الحق الخالص ، لا يبغى تزييفا أو نفعا أو شهرة أو تغلبا على خصم . ولذلك سخط السفسطائيون عليه ، ودبروا له المحاكمة المشهورة فى التاريخ ، والتى انتهت بالحكم عليه بالإعدام . ولكن الروح التى بثها سقراط هى التى أثمرت وسرت ونجحت ، فكان أفلاطون ثمرتها ، ثم أرسطو من بعده ، واستتبت قواعد العلم على أسس صحيحة بعيدة عن السفسطة

وجدير بمصر اليوم أن تكافح جماعة السفسطائيين الذين ألبسوا الباطل أثواب الحق ، ونشروا أسباب الفساد ، وهبطوا بالعلم والتعليم درجات ودرجات

فلا أجر على التعليم إلا ما تدفعه الدولة

ولا تجارة فى الكتب

ولا مساومة على الامتحانات

ولم تكن هذه المفاسد كلها مجهولة فى السنوات الماضية ، فقد كتب كثير من أحرار المفكرين فى الصحف ينادون بمكافحتها والقضاء عليها ، واجتهد بعض وزراء المعارف أن يلتمسوا لها حلا فأمروا بمنع إعطاء الدروس الخاصة ، وأصدروا المنشورات التى تحرم على المعلمين القيام بها . فكانت تلك المنشورات حبرا على ورق ، وظلت تجارة الدروس شائعة رائجة

ولجأ بعض الوزراء إلى إلغاء الامتحانات أصلا ، ونقل التلاميذ من عام دراسى إلى عام آخر بمجرد الحضور ، واكتفاء بتقارير المدرسين . ولم يحل هذا الإجراء المشكلة، بل زادها تعقيداً على تعقيد

ولم يكن من اليسور ولا من المعقول أن تصلح حال العلم والتعليم فى وسط موبوء ، كله مفاسد وشرور ومحسوبية وشذوذ، ولذلك كان طلب الإصلاح فى تلك الظروف من المحال

فلما اجتثت الرأس الفاسدة ، والحاشية التى كانت تبث الفساد فى كل ركن من أركان الحياة ، لأن معظم أفرادها من العامة بل وسفلة القوم ، ونحن نعنى ذلك لأن الحاشية كانت من الخدم ! ويحضرنى بهذه المناسبة وصية لابن سينا فى تعليم الرجل أبناءه : هى «ألا يتركهم فى أيدى الخدم حتى لا يتطرق إليهم الفساد، ولا يتخلق بأخلاقهم » نقول لقد مضى عهد الخدم الجهال الذين كانوا يتصدرون الدولة ويعدون بحكم مناصبهم قدوة لغيرهم ، وأصبح الطريق مفتوحاً لمن يتصف بخصلتين أساسيتين هما : العلم